



## 215231 - الكلام على معجزات الرسل وآيات الله التي أيدهم بها

### السؤال

قرأت أن معجزة نوح كانت الطوفان فكيف ذلك والطوفان حصل بعد تكذيبهم.. والمعروف أن المعجزة تأتي مع النبي حتى يصدقه الناس؟! وكذلك شعيب.. وهود عليهم السلام جميعا.. فما هي معجزة كل رسول من هؤلاء؟

### الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً :

ما مننبي إلا وقد آتاه الله تعالى آية بينة تدل على صدق ما جاء به ، يقيم بها الحجة على كل من خالقه .

روى البخاري (4981) ، ومسلم (152) عن أبي هريرة ، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ( مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قُدِّ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَفْوَى اللَّهُ إِلَيَّ ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَقْرَأُ الْقِيَامَةَ ) .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

" قوله : ( مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ ) : هَذَا دَالٌ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُعْجِزَةٍ تَقْتَضِي إِيمَانَ مَنْ شَاهَدَهَا بِصِدْقِهِ ، وَلَا يَضُرُّهُ مَنْ أَصْرَرَ عَلَى الْمُعَانَدَةِ .

وَالْمَعْنَى أَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ أُعْطِيَ آيَةً أَوْ أَكْثَرَ ، مِنْ شَأنَ مَنْ يُشَاهِدُهَا مِنَ الْبَشَرِ أَنْ يُؤْمِنَ بِهِ لِأَجْلِهَا ، وَالْمُرَادُ بِالْآيَاتِ : الْمُعْجَزَاتِ ، وَكُلَّ نَبِيٍّ أُعْطِيَ مُعْجِزَةً خَاصَّةً بِهِ ، لَمْ يُعْطِهَا بِعِينِهَا غَيْرَهُ ، تَحَدَّى بِهَا قَوْمَهُ ، وَكَانَتْ مُعْجِزَةً كُلَّ نَبِيٍّ تَقَعُ مُنَاسِبَةً لِحَالِ قَوْمِهِ " .

انتهى مختصرًا من "فتح الباري لابن حجر (6/9)" .

ثانياً :

لا يلزم أن ينص القرآن أو السنة على معجزة كلنبي ، فهذه المعجزة لم تأت إلينا نحن ، ولا يتربّ على معرفتنا بها عمل ، ولسنا مطالبين بالإيمان بالأنبياء الصادقين ، لأجل معجزاتهم ؛ فإنها مضت معهم ، وانقضى زمانها ، وإنما نؤمن بالأنبياء



السابقين ، لأجل الخبر الصادق في كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، عنهم .

والذي يعنيها أن نعلم أن النبي نوحًا ، ونبي الله هودا ، وغيرهما من الأنبياء الله : قد أرسلوا إلى أقوامهم ، وأنهم أتواهم بالحج والبيانات الكافية لتصديقهم ، والإيمان بهم ، قد نعلم ببعض آياتهم ، وقد لا نعلم بها ، كما أننا نعلم من أسماء الأنبياء وأحوالهم ، ما أتانا به الخبر الصادق ، ونجهل - كذلك - من أسماء الأنبياء الله وسيرهم ، ما لم يخبرنا به الوحي الصادق .

قال الزجاج رحمة الله :

" قوله : (قد جاءَتُكُمْ بِيَنَةً مِّنْ رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكِيلَ وَالْمِيزَانَ) قال بعض النحويين؛ لم يكن لشعيب آية إلا النبوة ، وهذا غلط فاحش .

قال : (قد جاءَتُكُمْ بِيَنَةً مِّنْ رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكِيلَ) جاءَ بالفاء جواباً للجزاء ، فكيف يقول : قد جاءَتُكُمْ بِيَنَةً مِّنْ رَّبِّكُمْ ، ولم يكن له آية إلا النبوة ؟ فإن كان مع النبوة آية فقد جاءَتْ بها .

وقد أخطأ القائل بقوله : لم تكن له آية ، ولو أدعى مدعى النبوة بغير آية لم تُقبلْ منه ، ولكن القول في شعيب أن آيته كما قال بينة ، إلا أن الله جل ثناؤه ذكر بعض آيات الأنبياء في القرآن ، وبعضهم لم يذكر آيته ، فمن لم تذكر آيته لا يقال : لا آية له " انتهى من "معاني القرآن" (2/ 353-354) .

وينظر : "تفسير ابن عطية" (2/ 426) .

ثالثا :

كانت معجزة النبي نوح عليه السلام صنع السفينة على اليابسة ، ثم سيرها فوق هذه الأمواج التي كانت كالجبال ، وقد كان أنذر قومه الطوفان .

قال ابن كثير رحمة الله بعد أن ذكر كرامة لأبي مسلم الخولاني رحمة الله :

" وَهِيَ مُشَابِهٌ لِمُعْجِزَةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فِي مَسِيرِهِ فَوْقَ الْمَاءِ بِالسَّفِينَةِ الَّتِي أَمْرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِعَمَلِهَا " انتهى من "البداية والنهاية" (9/ 317) .

ولا يعترض على ذلك بما يقوله السائل أن الطوفان حصل بعد تكذيبهم ، والمعجزة تأتي مع النبي حتى يصدقه الناس ؛ لأنه يقال في جوابه : إنه صلى الله عليه وسلم قد حذرهم وأنذرهم وتوعدهم ، فلما جاءهم ما يوعدون أصرروا واستكرووا ولم يؤمنوا ، ولو أنهم آمنوا ساعتها لصح إيمانهم ، ألا ترى إلى مناشدة نوح عليه السلام ابنه وقوله له : (يَا بُنَيَّ ارْكِبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ) هود/ 42 ، فلو أنه ركب معهم لكان من المؤمنين ولم يكن من الكافرين ، وكذلك غيره ، فالمعجزة إذا حاصلة في وقتها ، ولم



تحصل بعد أوانها .

ثم إنَّه كان من أَعْظَم آياتِه وبيَنَاتِه التي آتاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا : بِبَيْانِ الْوَاضِح ، وَحِجَاجُهُ الصَّحِيح لَهُم ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : وَقَالَ تَعَالَى :

( قَالَ يَا قَوْمٍ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنْلَزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ \* وَيَا قَوْمٍ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بَطَارِدُ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكُنِي أَرَأَكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ \* وَيَا قَوْمٍ لَا يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ \* وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزَدَّرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الطَّالِمِينَ \* قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأُنَّا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ) هُود/ 28 - 32 ، وقد تكرر خبر حجاجه لهم في غير سورة من سور القرآن الكريم .

على أن ذلك كله لا يمنع أن يكون قد أتاهم بأية بينة ، لم نقف على خبرها وكنها ، كما سبق .

وبينظر إجابة السؤال رقم : (10470) .

ومثل هذا يقال أيضا في نبي الله هود ، ونبي الله شعيب ، عليهما السلام ؛ فـإِمَّا أَنْ تَكُونَ لِكُلِّ مِنْهُمَا مَعْجِزَةٌ لَمْ نُطْلِعْ عَنْهُمْ عَلَيْهَا ، وـإِمَّا أَنْ تَكُونَ مَعْجِزَتَهُ فِي حِجَاجِهِ لِقَوْمِهِ ، وَمَخَاصِمَهُ لَهُمْ ، وَظَهُورُهُ عَلَيْهِمْ بِالْحَكْمَةِ ، وَعَظِيمُ الْبَيَانِ .

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله :

" مِنْ أَخْفَى آيَاتِ الرُّسُلِ آيَاتُ هُودٍ ، حَتَّى قَالَ لَهُ قَوْمُهُ : ( يَا هُودُ مَا جِئْنَا بِبَيِّنَةٍ ) ، وَمَعَهُمْ مِنْ أَوْضَعِ الْبَيَانَاتِ لِمَنْ وَقَفَهُ اللَّهُ لِتَدْبِرِهَا ، وَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ : ( إِنِّي أَشْهُدُ اللَّهَ وَإِشْهُدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ \* مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِي \* إِنِّي تَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَاءٍ إِلَّا هُوَ أَخْذٌ بِنَاصِيَتِهِ إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) ؛ فَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْآيَاتِ :

أَنَّ رَجُلًا وَاحِدًا يُخَاطِبُ أُمَّةً عَظِيمَةً بِهَذَا الْخِطَابِ، غَيْرَ جَزِيعٍ وَلَا فَزَعٍ وَلَا خَوَارٍ، بَلْ هُوَ وَاثِقٌ بِمَا قَالَهُ، جَازِمٌ بِهِ، فَأَشْهَدَ اللَّهَ أَوْلًا عَلَى بَرَاعَتِهِ مِنْ دِينِهِمْ ، وَمَا هُمْ عَلَيْهِ، إِشْهَادٌ وَاثِقٌ بِهِ مُعْتَمِدٌ عَلَيْهِ، مُعْلِمٌ لِقَوْمِهِ أَنَّهُ وَلِيُّهُ وَنَاصِرُهُ، وَغَيْرُ مُسْلِطٍ لَهُمْ عَلَيْهِ.

ثُمَّ أَشْهَدُهُمْ إِشْهَادًا مُجَاهِرًا لَهُمْ بِالْمُخَالَفَةِ : أَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْ دِينِهِمْ وَالْهَمَّهُمُ الَّتِي يُوَالِوْنَ عَلَيْهَا ، وَيَبْدُلُونَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فِي نُصْرَتِهِمْ لَهَا، ثُمَّ أَكَّدَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ بِالْاسْتِهَانَةِ بِهِمْ، وَاحْتِقارِهِمْ وَازْدِرَائِهِمْ، وَلَوْ يَجْتَمِعُونَ كُلُّهُمْ عَلَى كَيْدِهِ وَشِفَاءٌ غَيْظِهِمْ مِنْهُ، ثُمَّ يُعَاجِلُونَهُ وَلَا يُمْهِلُونَهُ : لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ إِلَّا مَا كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ.

ثُمَّ قَرَرَ دَعْوَتَهُمْ أَحْسَنَ تَقْرِيرٍ، وَبَيَّنَ أَنَّ رَبَّهُ تَعَالَى وَرَبَّهُمُ الَّذِي نَوَّاصِيَهُمْ بِبَدِيهٍ هُوَ وَلِيُّهُ وَوَكِيلُهُ الْقَائِمُ بِنَصْرِهِ وَتَأْيِيدهِ، وَأَنَّهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، فَلَا يَخْذُلُ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ وَأَقْرَبَ بِهِ، وَلَا يُشْمِسْتُ بِهِ أَعْدَاءُهُ.

فَأَيُّ آيَةٍ وَبُرْهَانٍ أَحْسَنُ مِنْ آيَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَبَرَاهِيْنِهِمْ وَأَدْلِيلِهِمْ؟ وَهِيَ شَهَادَةُ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بَيْنَهَا لِعِبَادِهِ غَایَةُ الْبَیَانِ " انتهى من



"شرح الطحاوية" (ص 47) .

وقال القاسمي رحمه الله ، في قول شعيب عليه السلام : (قَدْ جَاءَتُكُمْ بَيِّنَةً مِنْ رَبِّكُمْ) :

" (قَدْ جَاءَتُكُمْ بَيِّنَةً مِنْ رَبِّكُمْ) أي ما تبيّن به الحق من الباطل ، يعني : دعوته وإرشاده ، ومن هنا قال بعضهم : عني بالبينة : مجىء شعيب، وأنه لم تكن له آية إلا النبوة .

ومن فسر البينة بالحجّة والبرهان ، والمعجزة المحسوسة ، ذهابا إلى أن النبيّ لما كان يدعو إلى شرع يوجب قبوله، فلا بد من دليل يعلم صدقه به، وما ذاك إلا المعجزة ، قال : إن معجزة شعيب لم تذكر في القرآن، وليس كل آيات الأنبياء مذكورة في القرآن.

ولا يخفى أن البينة : أعم من المعجزة بعرفهم ؛ فكل من أبطلت شبهة ضلاله، وأظهرت له حجة الحق الذي يدعى إليه ، فقد جاءته البينة ؛ لأن حقيقة البينة : كل ما يُبَيِّنُ الْحَقَّ ؛ فاحفظه "انتهى من "تفسير القاسمي" (5/146) .

والله أعلم .